

سورة الانشقاق

مكية، وآياتها ٢٥

[نزلت بعد الانفطار] ١٢٥٨/٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾

حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكويد والانفطار. وقيل: جوابها ما دلّ عليه (فملاقه) أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه. ومعناه: إذا انشقت بالغمام، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَنفَقُ السَّمَاءُ يَافَعَمَ﴾ [الفرقان: ٢٥]، وعن علي - رضي الله عنه -: تنشق من المجرة أذن له: استمع له^(١). ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنّى بالقرآن» (١٧٢٦). وقول حجاج بن حكيم [من الطويل]:

أَذْنَتْ لَكُمْ لَمَّا سَمِعْتُ هَرِيرَكُمْ^(٢)

والمعنى: أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه

١٧٢٦ - تقدم في سورة إبراهيم. قال الحافظ: متفق عليه، وقد تقدم في سورة إبراهيم. انتهى.

(١) قال محمود: «معنى أذنت استمعت... إلخ» قال أحمد: نغص تفسير الآية بقوله: القادر بالذات وما باله لا يقول: القادر الذي عمت قدرته الكائنات، حق لا يكون إلا بقدرته: حقيق أن يسمع له ويطاع. فثبت لله صفة الكمال. ويوحده حق توحده: وهو خير من سلب صفة الكمال عن الله تعالى وإشراك مخلوقاته به - جل ربنا وعز -.

(٢) أذنت لكم لما سمعت هريركم فأسمعتموني بالخنا والفواحش
لججاج بن حكيم. وأذنت: أصغيت وأصغيت بأذني لكلامكم حين سمعت صوتكم، وضمن
أسمعتموني معنى: أعلمتموني، فعده بالباء. ويجوز أنها زائدة. والخنا: الزنا وتوابعه مما يتعلق
بالنساء، والفواحش: أعم من ذلك.
ينظر: البحر ٨/٤٤٥، الدر المصون ٦/٤٩٧.

الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يَأْب ولم يمتنع، كقوله: ﴿أَتَيْنَا طَائِفِينَ﴾ [نصبت: ١١]، ﴿وَحَقَّتْ﴾ من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به، يعني: وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع. ومعناه الإيذان بأنَّ القادر الذات^(١) يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك ﴿مُدَّتْ﴾ من مَد الشيء فامتدَّ: وهو أن تزال جبالها وأكامها وكل أمت فيها، حتى تمتدَّ وتنسبط ويستوي ظهرها، كما قال تعالى: ﴿فَأَعَا صَفْصَفًا لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦ - ١٠٧]، وعن ابن عباس - رضي الله عنهم -: مَدَّت مَدَّ الأديم العكاظي؛ لأن الأديم إذا مَدَّ زال كل انثناء فيه وأمت واستوى أو من مَدَّه بمعنى أمدَّه، أي: زِيدت سعة وبسطة ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ وخلت غاية الخلوَ حتى لم يبق شيء في باطنها، كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلوَ، كما يقال: تكرم الكريم، وترحم الرحيم: إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة، وتكلفا فوق ما في طبيعتهما ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ في إلقاء ما في بطنها وتخليها.

﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلَمَّ يَفِيهِ﴾ ٦ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبُؤَ يَمِينِهِ﴾ ٧
 فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ٩ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبُؤَ وَرَاءَ
 ظَهْرِهِ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ١١ وَيَصُلِّي سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ١٣ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ
 لَن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ١٥

الكدح: جهد النفس في العمل والكَد فيه حتى يؤثر فيها، من كدح جلده: إذا خدشه ومعنى ﴿كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ جاهد إلى لقاء ربك، وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء ﴿فَلَمَّ يَفِيهِ﴾ فملاق له لا محالة لا مفر لك منه، وقيل: الضمير في ملاقيه للكدح ﴿يَسِيرًا﴾ سهلاً هيناً لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه، كما يناقش أصحاب الشمال. وعن عائشة - رضي الله عنها -: هو أن يعرّف ذنوبه، ثم يتجاوز عنه. وعن النبي ﷺ أنه قال: «من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله: فسوف يحاسب حساباً يسيراً». قال: ذلكم العرض، من نوقش في الحساب عذب» (١٧٢٧) ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ إلى عشيرته إن

١٧٢٧ - أخرجه البخاري (٧١٠/٩) في تفسير سورة «إذا السماء انشقت» الحديث (٤٩٣٩) ومسلم (٩/٢٢٥ - نووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إثبات الحساب الحديث (٢٨٧٦).
 وأبو داود (٢٠١/٢) في الجنائز، باب عيادة النساء الحديث (٣٠٩٣) والترمذي (٤٣٥/٥) في =

(١) قوله: «الإيذان بأنَّ القادر بالذات» هذا التعبير مبني على مذهب المعتزلة من أنه تعالى قادر بذاته لا بقدرة زائدة على ذاته، عالم بذاته لا يعلم زائد على ذاته. ومذهب أهل السنة: أنه قادر بقدرة زائدة على ذاته، عالم بعلم زائد على ذاته. وهكذا، كما في الحوادث.

كانوا مؤمنين. أو إلى فريق المؤمنين. أو إلى أهله في الجنة من الحور العين ﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ قيل: تغلّ يمتناه إلى عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره. وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره، ﴿يَدْعُوا بُرًّا﴾ يقول: يا ثوراه. والثبور: الهلاك. وقرئ: ويصلى سعيًا، كقوله: ﴿وَتَصَلِّيْهُ جَحِيْمٌ ۝١١٥﴾ [الواقعة: ٩٤]، ويصلى: يضم الياء والتخفيف، كقوله: ﴿وَتَصَلِّيْهِ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ١١٥]، ﴿فِي أَهْلِهِ﴾ فيما بين ظهرانيهم: أو معهم، على أنهم كانوا جميعًا مسرورين، يعني أنه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون في العواقب. ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصالحاء والملتقين وحكاية الله عنهم ﴿إِنَّا كُنَّا قَلِيلًا مِّنْ شَافِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦] ﴿ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ﴾ لن يرجع إلى الله تعالى تكذيبا بالمعاد. يقال: لا يحور ولا يحول، أي: لا يرجع ولا يتغير. قال لبيد [من الطويل]:

يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ^(١)

وعن ابن عباس: ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها: حوري، أي: ارجعي ﴿يَلَّ﴾ إيجاب لما بعد النفي في ﴿لَنْ يَحُورَ﴾ أي: بلى ليحورن ﴿إِنَّ رَبَّنَا كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه، فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها. وقيل: نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأشد وأخيه الأسود بن عبد الأشد.

﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالشَّفَقِ ۝١١٦﴾ وَأَلَيْلٍ وَمَا وَسَّوْا ۝١١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝١١٨﴾ لَتَرَكِبْنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ۝١١٩﴾

الشفق: الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس، وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء، إلا ما يروى عن أبي حنيفة - رضي الله عنه - في إحدى الروايتين: أنه البياض. وروى أسد بن عمرو: أنه رجع عنه، سمي لرقته. ومنه الشفقة على الإنسان: رقة القلب عليه ﴿وَمَا وَسَّوْا﴾ وما جمع وضم، يقال: وسقه فأتسق واستوسق. قال [من الرجز]:

= التفسير، باب ومن سورة «إذا السماء انشقت» الحديث (٣٣٣٧).

وأحمد في المسند (٤٧/٦، ١٠٨، ١٢٧، ٢٠٦) وابن حبان في صحيحه (٣٦٩/١٦ - ٣٧١) رقم (٧٣٦٩، ٧٣٧٠، ٧٣٧١).

وابن جرير في التفسير (٥٠٧/١٢) رقم (٣٦٧٣٠ - ٣٦٧٣٧) والبغوي في شرح السنة (٤٨٨/٧) رقم (٤٢١٤ - بتحقيقنا) قال الحافظ: متفق عليه من حديث عائشة - انتهى.

مُسْتَوْسَقَاتٌ لَوْ يَجِدْنَ سَائِقًا^(١)

ونظيره في وقوع افتعل/٢/٢٥٨ ب واستفعل مطاوعين: اتسع واستوسع. ومعناه: وما جمعه وستره وآرى إليه من الدواب وغيرها ﴿إِذَا أَسَقَّ﴾ إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة. قرئ: لتركين، على خطاب الإنسان في ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ﴾ ولتركين، بالضم على خطاب الجنس، لأن النداء للجنس؛ ولتركين بالكسر على خطاب النفس، وليركين بالياء على: ليركين الإنسان. والطبق: ما طابق غيره. يقال: ما هذا بطبق لذا، أي: لا يطابقه. ومنه قيل للغطاء الطبقي. وإطباق الثرى: ما تطابق منه، ثم قيل للحال المطابقة لغيرها: طبق. ومنه قوله عز وعلا ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ أي حالاً بعد حال: كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والهول: ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة، من قولهم: هو على طبقات. ومنه: طبق الظهر لفقاره الواحدة: طبقة، على معنى: لتركين أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأحوالها. فإن قلت: ما محل عن طبق؟ قلت: النصب على أنه صفة لطبقاً، أي: طبقاً مجاوزاً للطبق. أو حال من الضمير في لتركين، أي: لتركين طبقاً مجاوزين لطبق. أو مجاوزاً أو مجاوزة، على حسب القراءة: وعن مكحول: كل عشرين عاماً تجدون أمراً لم تكونوا عليه.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾ لا يستكبنون ولا يخضعون. وقيل: قرأ رسول الله ﷺ ذات يوم ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْرَبْ﴾ [العلق: ١٩] فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر، فنزلت (١٧٢٨). وبه احتج أبو حنيفة - رضي الله عنه - على وجوب

١٧٢٨ - بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (١٧٨/٤) وقال الحافظ: لم أجده. انتهى.

(١) إن لنا قلائصاً حقائقاً مستوسقات لو يجدن سائقاً

القلائص: جمع قلوص وهي الفتية من الإبل. والحقائق: جمع حقة، التي استحققت الحمل عليها؛ أو استحققت ضراب الفحل. ويقال: وسقه فانسق واستوسق، أي: جمع عليه الأحمال فتحمل، أو جمعه فاجتمع ومستوسقات: متحملات أو مجتمعات؛ وأو بمعنى إلى، أي: واقفات إلى أن يجدن من يسوقهن فيسرن. ويروى: لو يجدن. وفيه معنى التمني. ويجوز أن جوابه مقدر، أي: لأسرعن:

ينظر: ديوانه ٣٠٧/٢، وتاج العروس (وسق)، ولسان العرب (وسق)، وتهذيب اللغة ٢٣٥/٩، وديوان الأدب ٢٨٣/٣.

السجدة، وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أنه سجد فيها وقال: والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها (١٧٢٩). وعن أنس: صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن: هي غير واجبة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إشارة إلى المذكورين ﴿يَمَّا يُوعُوثُ﴾ بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء. أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ استثناء منقطع.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره» (١٧٣٠).

١٧٢٩ - أخرجه البخاري (٤٩٧/٢) كتاب الأذان، باب الجهر في العشاء الحديث (٧٦٦) وأطرافه في (٧٦٨، ١٠٧٤، ١٠٧٨).

ومسلم (٨١/٣ - نووي) كتاب المساجد، باب سجود التلاوة الحديث (٥٧٨): والنسائي (١٦١/٢) في الافتتاح، باب السجود في «إذا السماء انشقت».

والدارمي (٣٤٣/١).

وابن حبان في صحيحه (٤٦٧/٦) رقم (٢٧٦١) ومالك في الموطأ (٢٠٥/١) كتاب القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن، والبخاري رقم (٧٦٧).

وابن خزيمة في صحيحه رقم (٩٥٥).

قال الحافظ: متفق عليه بمعناه. انتهى.

١٧٣٠ - تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسندهم إلى أبي بن كعب. انتهى.